حكماً قيصرياً ولا كسروياً ينتقل بالوراثة، مضافاً الى ذلك ان فرض البيعة ليزيد على المسلمين كان جريمة كبرى ذات ابعاد اجتماعية وسياسية خطيرة تنتهي بتصفية الاسلام ومحوه[١].

نُظُم الحكم والإدارة في عهد معاوية

ونتناول الجانب الآخر من حكم معاوية ونقول بحيادية تامة انه استحدث بعض التغييرات وادخل نظم جديدة تتفق مع ظروف الدولة وطبيعة البلاد، فقد ألغى الكثير من المظاهر التقليدية التي كانت سائدة في الأمصار الاسلامية وأقام جهازاً حكومياً منظماً يتضح فيه النمط البيزنطي، حيث كان السلوك الشخصي لمعاوية ومظاهر الأُبهة التي حرص على التمسك بها واضحة نتيجةً لمجاورته الدولة البيزنطية لذلك أقام قصراً يقيم فيه أطلق عليه اسم (قصر الخضراء) وهو مجاور للمسجد الجامع في دمشق، واستحدث المأذنة كما استحدث (ديوان البريد) حرصاً على سرعة وصول الاخبار الى مركز الخلافة في دمشق، فتم تقسيم الطرق منازل يتم فيها استبدال الخيل للسرعة، وبذلك اصبح اداة هامة في ادارة شؤون الدولة[٢].

وأنشأ معاوية (ديوان الخاتم) وكان من أكبر دواوين الدولة ويقوم موظفوه بنسخ أوامر الخليفة وإيداعها بعد ان تحزم بخيط وتختم بخاتم صاحب هذا الديوان، كما هو الحال اليوم في قلم "الأرشيف" او السجلات. أما بالنسبة للإدارة المالية فقد عَهِدَ معاوية الى جماعة من اهل الذمة وهم (النصارى واليهود) ممن عُرفوا بكفاءتهم، وبذلك يكون معاوية اول من عين النصارى في مناصب الدولة.

وتحقق في عهد معاوية العديد من المشاريع الزراعية والإروائية في بلاد الشام والحجاز والعراق وتضاعفت عطايات الجُند نتيجةً لزيادة موارد الدولة الاسلامية، كما أنشأ معاوية البحرية الاسلامية منذ ان كان والياً على الشام، كما اهتم بترميم الحصون الساحلية في (عكا وصور) وأقيمت مراكز لصناعة السفن في كل من (صور وصيدا والاسكندرية) وبفضل الأسطول العربي الاسلامي تمكن المسلمون من فتح جزيرتي (قبرص وورودس)[٣].

وقامت سياسة معاوية في إدارته للأمصار الاسلامية على تعيين الولاة لمدة من الزمن ثم يعمل على عزلهم من اجل تثبيت دعائم خلافته. وكان من أشهر ولاته (مروان بن الحكم) الذي ولاه المدينة المنورة ومكة والطائف ثم عزله وولي (سعيد بن العاص) ثم عزله وولي (مروان بن الحكم) وهكذا كام يبدل احدهما بالآخر على ولاية المدينة المنورة، أما مصر فقد أعطاها طعمةً لـ

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٨٨.

(٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٨٣ .

(٣) ثابت اسماعيل الراوي ، الدولة الاموية ، ص١٢.

(عمرو بن العاص) جزاءَ مساندته يوم صفين، وبقي والياً عليها حتى وفاته سنة (٤٣هـ)، وولي على الكوفة (المغيرة بن شعبة)، أما البصرة فولى عليها (عبد الله بن عامر) ثم عزله وولي عليها (الحارث بن عبد الله الأزدي) ثم عزله وولي عليها (زياد بن أبيه) لحين وفاته، وبعد وفاة المغيرة جمع له ولايتي البصرة والكوفة، ثم ولى ابه (عبيد الله بن زياد) البصرة وجُمعَ له البصرة والكوفة في زمن يزيد بن معاوية[١].

الفتوحات في عهد معاوية

غزا عبد الله بن سوار أمير السند بلاد القيفان وهي مما يلي خراسان مرتين، لكنه قُتِلَ في المرة الثانية، ثم غزاهم المهلب بن ابي صفرة حتى وصل الى لاهور.

وتوجهت همة المسلمين نحو الشمال والغرب حيث الدولة الرومانية الشرقية التي كانت تَغير على البلاد الاسلامية القريبة منها، فرتب معاوية الغزو اليها براً وبحراً وبلغ أسطول الشام في عهده (١٧٠٠) سفينة فتح بها عدة جهات، جزيرة رودس وبعض الجزر اليونانية، أما في البر فقد رتب الشواتي والصوائف، وهي الجيوش التي كانت تغزو هذه البلاد في الشتاء والصيف.

وفي سنة (٤٢هـ) ولى معاوية (قيس بن الهيثم) بلاد خراسان فسار الى بلخ وهراة وبدغيس بعدما نقضوا الرسعهد الصُلح مع المسلمين، فدخل بلخ وخرب معبدها ويدعى (نوبهار) فطلب اهل الصُلح فأجابهم وسارع اهل بدغيس وهراة الى طلب الصُلح والأمان.

ولما تولى عبيد الله بن زياد خراسان بعد وفاة ابيه، بلغ بيكند وأرغم خاتون اميرة بخارى على طلب الصلح لكنها نقضت العهد بعد ذلك، فدخل المسلمون بخارى بقيادة (سعيد بن عثمان) الذي خلف ابن زياد على ولاية خراسان، ثم دخل المسلمون سمرقند بعد قتال عنيف.

وفي سنة (٤٨هـ) جهز معاوية جيشاً لفتح القسطنطينية براً وبحراً بقيادة ابنه يزيد وخرج معه كبار الصحابة مثل (عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وابو أيوب الأنصاري)، لكنَّ يزيد سلَّم قيادة الجيش لسفيان بن عوف والتجأ الى دير هناك فاقتتل المسلمون والروم قتالاً شديداً، ولم يستطع جيش العرب فتح القسطنطينية لمتانة اسوارها ومنعة موقعها وفتك النار الاغريقية بسفن المسلمين، وقتل أبو أيوب الأنصاري ودفن خارج اسوار القسطنطينية فيما اضطر المسلمون للعودة بعدما فقدوا الكثير من جندهم وسفنهم[٢].

وفي سنة (٥٠هـ) أرسل معاوية الى عقبة بن نافع عشرة آلاف جندي، فدخل افريقية وتمكن من فتحها وأسلم على يديه كثير من البربر الذين دخلوا في الجيش فكانوا نواة الجيش الاسلامي الذي

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل، ج٥ ، ص١٢.

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٦ ، ص١٨١.

تم على يديه فتح بلاد الغرب ومن ثم الأندلس، وأصبح عقبة بن نافع والياً على افريقية التي كانت تابعة لوالي مصر، وبنى عقبة بن نافع مدينة القيروان وبنى فيها المسجد الجامع[1].

دور الإمام الحسن (ع) في عهد معاوية

بعد الصُلح مع معاوية مكث الامام الحسن بن علي عليهما السلام أياماً في الكوفة ثم غادرها الى المدينة المنورة فخرج اهل الكوفة بجميع طبقاتهم لتوديعه وهم بين باكٍ وآسفٍ واستقبله اهل المدينة بحفاوية بالغة واستقر بها هو واخوته واهل بيته فأتقام فيها عشر سنين ملأ ربوعها بعطفه ورقيق حنانه وحلمه.

كان للصلح دوره الكبير في كشف حقيقة معاوية ونواياه الخفية، فبعد ان استلم زمام الأمور استسلم لزهو الانتصار فكشف عن سوء سريرته ومكنونات اهوائه ولم يلتفت الى الآثار المترتبة على هذا الكشف، فكان الامام الحسن المجتبى عليه السلام له بالمرصاد، فقد صدع الامام في اكثر من مناسبة وموقف ولم يكتفِ بإظهار وإثبات نبوّته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقط، وإنما كان يؤكد من خلالها ان حق الامامة والخلافة له وحده ولا يمكن ان يصل معاوية واذنابه لأن معاوية يفتقد المواصفات المؤهلة للخلافة بل يتصف بما ينافيها[2].

ومهما يكن من أمر، فالمهم ان الحوادث جاءت تفسر خطة الامام الحسن (ع) ونجلوها، وكان ما يرمي اليه ان يرفع اللثام عن هؤلاء الطغاة فيحول بينهم وبين ما يبيتون لرسالة جده من الكيد، وقد تم له كل ما أراد، وبهذا استتب لصنوه سيد الشهداء أن يثور ثورته المباركة التي اوضح الله بها الكتاب، وكانا عليهما السلام وجهين لرسالة واحدة كل وجه منهما في موضعه منها وفي زمانه من مراحلها.

لقد تمثلت مرجعية الامام الحسن (ع) في المدينة المنورة وعلى عدة أصعدة، العلمية منها والدينية والاجتماعية والسياسية وتتناول كل منها بما يفي الغرض[3].

أما مرجعيته العلمية والدينية فتمثلت بتربية كوكبة من طلاب المعرفة وتصديه للإنحرافات الدينية التي كانت تؤدي الى مسخ الشريعة، كما تصدى لمؤامرة مسخ السُنة النبوية الشريفة التي كان يخطط لها معاوية من خلال تنشيط وضع الحديث ومنع تدوين الحديث النبوي.

وأنشأ الامام المجتبى (ع) مدرسته الكبرى في المدينة وراح يعمل مُجداً في نشر الثقافة الاسلامية واتخذ من مسجد جده صلى الله عليه وآله وسلم مقراً لها وقد انتمى اليها كبار العلماء

---

(١) أبن الثير ، الكامل ، ج٧ ، ص١١٣.

(٢) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٠ ، ص١١٨.

(٣) الطبرسي ، أعلام الورى ، ص٨٣.

وعظماء المحدثين والرواة ومن اشهرهم:- (ابنه الحسن المثنى، المسيب بن نجبة، سويد بن غفلة، العلا بن عبد الرحمن، الشعبي، الأصبغ بن نباتة، جابر بن مخلد، عيسى بن مأمون بن زرارة، أبو مريم قيس الثقفي وإسحاق بن يسار)، وبهم كانت المدينة من أخصب البلاد الإسلامية علماً وأدباً وثقافةً، وأكد على اتساع أُفق النظر والتعامل الموضوعي مع الأفكار والاحداث، وكان يؤكد إن التشيع مسؤولية وممارسة سلوكية وهي مرتبة شريفة وليس شعاراً يُرفع وادعاءً فارغاً كما جاء في قوله لأحد أصحابه: ((إن كنت لنا في أوامرنا وزواجرنا مطيعاً فقد صدقت وإن كنت بخلاف ذلك فلا تزد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها))[1].

وكان يدعو الناس الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال والتأدب بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فمن سمو اخلاقه ومحاسنه انه كان يصنع المعروف والاحسان حتى مع اعدائه ومناوئيه ويجيب على الأسئلة الموجهة اليه من مختلف الافراد وخاصة الذي ينتسبون الى مدارس فكرية اخرى مثل الحسن البصري الذي اجابه عليه السلام في مختلف حقول المعرفة الاسلامية في العقيدة والشريعة[2].

وأما في الجانب الاجتماعي: فقد تمثل في عطف الامام على الفقراء وإحسانه وبذله المعروف واستجارة المستجيرين به للتخلص من ظلم الأمويين وأذاهم، فلقد أفاض الامام (ع) الخير والبر على الفقراء والبائسين، وانفق جميع ما عنده عليهم وقد ملأ قلوبهم سروراً بإحسانه ومعروفه، وكان كهفاً منيعاً لمن يلجأ اليه وملاذاً حصيناً لمن يلوذ به، قد كرّس أوقاته في قضاء حوائج الناس ورفع الضيم والظلم عنهم، وطالما استجار بهم وجوه الشيعة من ظلم ولاة بني أمية وأجارهم وقضى حاجاتهم.

أما على الصعيد السياسي: فقد برز دور الامام (ع) كمعارض للدولة الأموية ومقارع لها فأصبح كالشوكة التي تُنغِص على معاوية ملكه وتكدر صفوه، ونجد في أدعية الامام (ع) ولقاءاته بالحاكمين وبطانتهم ورسائله وخطبه نشاطاً سياسياً واضحاً تمثل في:-

أ- مراقبته للأحداث ومتابعتها ومراقبة سلوك الحاكمين وعمالهم وأمرهم بالمعروف وردعهم عن المنكر.

ب- النشاط السياسي المنظم، والذي تمثل في استقباله لوفود المعارضة، وتوجيههم ودعوتهم للصبر وأخذ الحزم وانتظار أوامره التي ستصدر في الفرصة المناسبة، كما تمثل في تأكيده المستمر على الدور القيادي لأهل البيت عليهم السلام واستحقاقه للخلافة والإمامة.

---

(١) الطبرسي ، اعلام الورى ، ص٨٤.

(٢) المصدر نفسه ، ص٨٥.

ج- عدم تعاطيه مع أركان النظام الحاكم رغم محاولاتهم لكسب عطفه او تغطية نشاطاته، وتمثل هذا الجانب في رفضه مصاهرة الأمويين في قصة زواج يزيد من زينب بنت عبد الله بن جعفر وفضحه لواقعهم المنحرف وعدم استحقاق معاوية للخلافة.

د- مناظراته لمعاوية وبطانته في مكة والمدينة ودمشق التي زخرت بها كتب التاريخ والتراث، واستطاع الامام (ع) من خلالها فضح رأس النظام الأموي وأتباعه أمام الملأ، ففي أول مناظرة جرت بينهما افتخر معاوية عند اجتماع الناس حوله في عاصمة نظامه اجاب الامام الحسن (ع) قائلاً: ((هيهات، للشر ما علوت يا ابن آكلة الأكباد، المجتمعون عليك رجلان: بين مُطيع ومُكره، فالطائع لك عاصٍ لله والمُكره معذور بكتاب الله، وحاشا لله أن أقول أنا خير منك لأنك لا خير فيك، فإن الله برأني من الرذائل كما برأك من الفضائل))[1].

ولقد أُعطت هذه المناظرات التي خاطب الامام الحسن (ع) فيها معاوية باسمه ولم يخاطب بأمرة المؤمنين ولا خلافة المسلمين أبداً اعطت زخماً حديدياً وفاعلاً للمعارضة، حيث جرأت الكثير من الصحابة لمخاطبة معاوية وبكل جراءة كما فعل: (عبد الله بن عباس وسعد بن ابي وقاص وعبد الله بن الزبير وجارية بن قدامة السعدي وغيرهم)، كما كشف للأمة عن الواقع المرير الذي اكتنف الحكم الاسلامي بتسلط هذه النماذج المنحرفة في أُصولها والمنفعلة برواسيها الجاهلية التي لا يمثل الاسلام عندها إلا الوسيلة الوحيدة للتسلط على رقاب الناس[2].

وهكذا ينطلق الامام (ع) في خطاه الرسالية التي هي امتداد لخطى جده الرسول الأعظم محمد (ص) وعليه تقع مسؤولية حفظ المبادئ الأصيلة التي جاءت من أجلها الرسالة المحمدية.

اغتيال الإمام الحسن عليه السلام

أيقن معاوية ان بقاء الإمام حياً يشكل تهديداً واضحاً لنظامه القائم على أساس الخداع والتضليل وقد منعته الهيبة من الامام عليه السلام من ممارسة الكثير من الانحرافات المخالفة للكتاب والسُنة، لذلك أقنع زوجة الامام (جعدة بنت الأشعث) عن طريق والي المدينة مروان بن الحكم بأن تسقي الامام الحسن (ع) السم، وكان شربة من العسل بماء فإن هو قضى نحبه زوجها بيزيد وأعطاها مائة ألف درهم، وهكذا تم لمعاوية ما أراد وقضى الامام الحسن (ع) مسموماً وهو صائم بالمدينة يوم الخميس لليلتان بقيتا من صفر سنة (٥٠هـ)، وحينما وصل الخبر الى معاوية

---

(١) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢١ ، ص٤٥.

(٢) المصدر نفسه ، ج٢٣ ، ص٤٦-٤٧.

كبّر في جمع من اهل الشام الذين كبّروا معه وقال: ((والله ما كبرت شماتة بموته ولكن استراح قلبي، وصفت لي الخلافة)).

والنصوص على اغتيال معاوية للامام الحسن (ع) بالسم متضافرة كأوضح قضية في التاريخ.

واستمر معاوية بنقض العهود التي قطعها على نفسه في الصُلح بعد استشهاد الامام الحسن (ع) حتى قيل أنّ: "أول ذلّ دخل على العرب موت الحسن بن علي عليهما السلام"[1].

وفاة معاوية

قبل وفاة معاوية أخذ البيعة بالقهر والغلبة كعادته لولده يزيد ونصبه ولياً لعهده ولم تطل أيامه حتى أصابته الأمراض والأسقام حتى عجز طبيبه النصراني من علاجه.

((يقول سعيد بن مسيب: مرض معاوية مرضه الذي مات فيه، فدخل عليه طبيب نصراني فقال له: ويلك ما أراني مع علاجك إلا علةً ومرضاً، فقال له: والله ما أبقيتُ في علاجك شيئاً أرجو به صحتك إلا وقد عالجتك به، غير واحد فإني أبرأت به جماعة فإن أنت ارتضيته وأمرتني بأن أُعالجك به فعلت، فقال: وما هو؟ قال: صليب عندنا ما عُلِقَ في عنق عليل إلا أفاق، فقال معاوية: عليَّ به، فعلقهُ في عنقه فمات في ليلته والصليب معلق في عنقه)).

وصدق عليه قول الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم بالسند الصحيح عن البلاذري في التاريخ الكبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: (كنت جالساً عند النبي (ص) فقال: ((يطلع عليكم من هذا الفج رجلٌ يموت يوم يموت على غير ملتي))، قال: وتركت أبي يلبس ثيابه فخشيت ان يطلع فطلع معاوية)، قال الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري: (وهذا حديث صحيح على شرط مسلم)[2].

وروت مصادرنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنهُ قال: ((لا يموت ابن هند حتى يعلق الصليب في عنقه))، رواه الأحنف بن قيس وابن شهاب الزهري وابن أعثم الكوفي وأبو حيان التوحيدي.

وهكذا مات الطاغية بعدما حكم الأمة الاسلامية نحو أربعين سنة، عشرون منها والياً على الشام وعشرون خليفة على رقاب المسلمين، مات في الثاني والعشرون من رجب سنة (٦٠هـ) وله اثنان وثمانون سنة او ثمان وسبعون سنة[3].

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١١٧.

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١١٨.

(٣) المسعودي ، مروج ، ج٣ ، ص٥.

خلافة يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ / ٦٨٠-٦٨٥م)

نسبه:- هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ولد سنة (٢٥ او ٢٦هـ).

أمه:- ميسون بنت بجدل الكلبية.

نشأته:- عند اخواله في البادية من بني كلاب الذين كانوا يعتنقون المسيحية قبل الاسلام، ورث عن سلفه صفات الغدر والنفاق والطيش والاستهتار، وكان قاسياً غداراً كأبيه، لكنه ليس داهية مثله، كانت تنقصه القدرة على تغليف تصرفاته القاسية بستار من اللباقة الناعمة، وكانت طبيعته المنحلة وخُلقُهُ المنحط لا تتسرب اليها شفقة ولا عدل، كان بؤرة لأبشع الرذائل، أما ندمائه فكانوا من حثالة المجتمع.

صفاته:- من أبرز مظاهر صفات يزيد ولعهُ بالصيد فكان يقضي أغلب أوقاته فيه، وكان يُلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب والجلال المنسوجة منه، ويهب لكل كلب عبداً يخدمه.

أما ولعهُ بالقرود فأشهر من أن يذكر، فكان له قرد يجعله بين يديه ويكنيه بأبي قيس ويسقيه فضل كأسه ويحمله على حمار وحشية ويرسله مع الخيل في حلبة السباق.

والظاهرة الأبرز من صفاته إدمانه على الخمر حتى أسرف في ذلك الى حد كبير، وينقل المؤرخون عن عبد الله بن حنظلة "غسيل الملائكة" الذي خرج على يزيد بعد ان اصطحب وفداً من أهل المدينة الى الشام عُقيب استشهاد الامام الحسين عليه السلام وصفه ليزيد بقوله: (والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا ان نُرمى بالحجارة من السماء، انه رجل ..... يشرب الخمر ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله بلاءً حسناً).

وغلب على اصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي واظهر الناس شرب الشراب.

إنّ مطالعة الحياة الماجنة ليزيد في حياة ابيه تكفي لفهم دليل امتناع عامة الصحابة والتابعين من الرضوخ لبيعة يزيد بالخلافة[١].

وطالما جاهر يزيد بإلحاده وكفره وعدائه للرسول وآله والبغض لهم لأنه وتره بأسرته يوم بدر، ولما أباد العترة الطاهرة يوم كربلاء جلس على أريكة ملكه جذلاً مسروراً فقد استوفى ثأره من النبي (ص) بقوله:

قد قتلنا القرم من أشياخهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر ... جاء ولا وحي نزل [٢]

---

(١) ابن حزم ، جمهرة نسب قريش ، ص٨٣.

(٢) محسن الامين ، أعيان الشيعة ، ص١١٧.